شخصية العدد

أحمد عبدالرحيم مصطفى وتأسيس المعرفة العلمية للتاريخ (١٩٢٥ - ٢٠٠٢)

دكتور أحمد زكريا الشلّق

أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب

جامعة عين شمس

أحمد عبد الرحيم مصطفى
وتأسيس المعرفة العلمية للتاريخ
(١٩٢٥ - ٢٠٠٢)

فى الخامس والعشرين من مارس ٢٠٠٢ رحل فى صمت عن عالمنا مؤرخ كبير ، وعالم من علماء التاريخ المفكرين البارزين ، هو الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أستاذ تاريخ مصر والعالم العربى الحديث والمعاصر ، وبفقده ، فقدت مصر واحدا من أعلام المؤرخين الذين أرسوا أسس وتقاليد المدرسة العلمية الحديثة فى كتابة التاريخ ، وأرسوا تقاليد البحث العلمى الموضوعى بكتاباتهم وندواتهم وتلاميذهم .

وقد ولد الأستاذ الجليل فى إحدى قرى سوهاج بصعيد مصر فى نوفمبر عام ١٩٢٥ ، وحصل على درجة الليسانس الممتازة فى الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ ، وأعقبه بدبلوم معهد التربية العالى عام ١٩٤٨ ليشتغل فترة قصيرة بالتعليم الثانوى ، يعين بعدها معيدا بجامعة عين شمس (إبراهيم باشا آنذاك) حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٥١ بدراسته عن «علاقة مصر بتركيا فى عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩» تحت إشراف الأستاذ محمد فؤاد شكرى ثم الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، الذى درس معه لدرجة الدكتوراه فى البداية ، ثم أوفد فى بعثة دراسية إلى جامعة لندن ، ليحصل على دكتوراه الفلسفة فى التاريخ عام ١٩٥٥ فى موضوع من أهم موضوعات تاريخ مصر الحديث يتناول «شئون مصر الداخلية والخارجية ١٨٧٦ - ١٨٨٢» تحت إشراف الأستاذين هارولد بوون ومدلكوت، ليقدم لنا دراسة وثائقية لهذه الفترة الحرجة من تاريخ الوطن ، وهى فترة تزايد التدخل الأجنبى ونمو الحركة الوطنية المصرية ، التى أفضت إلى قيام الثورة الوطنية المعروفة بالعرابية، وتعد أكمل وأهم دراسة صدرت عن هذا الموضوع، وقد عربها بعد ذلك ونشرتها دار

المعارف عام ١٩٦٥ تحت عنوان «مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ - ١٨٨٢» ونفدت فى حينها ولم تطبع منذ ذلك التاريخ رغم أهميتها الشديدة .

وقد شغل الأستاذ المؤرخ بعد ذلك وظائف التدريس فى كلية الآداب بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٥٦ مدرسا، فأستاذا مساعدا ، فأستاذاً لكرسى التاريخ الحديث منذ عام ١٩٦٨ فرئيسا للقسم (١٩٧٠)، فوكيلا للكلية لعام ١٩٧٢ - ١٩٧٣. وقد شاءت ظروفه أن يعار للعمل أستاذاً بجامعة الكويت، التى استقطبت فى حينه أعلاماً من الأساتذة المصريين منهم الأساتذة الدكاترة محمد عواد حسين وأحمد أبو زيد وعبد الرحمن بدوي وفؤاد زكريا وحسين مؤنس وغيرهم . وقد استمر الدكتور أحمد عبد الرحيم يعمل فترة طويلة فى جامعة الكويت (١٩٧٣ - ١٩٨٧) قام خلالها بنشاط علمى جم وبجهد تأسيسى كبير، من خلال إشرافه العلمى وجهوده فى التأليف والترجمة مدفوعا بإيمانه بأن له رسالة يؤديها فى أى مكان من وطنه العربى، وقد عاد الأستاذ إلى بيته الأول فى كلية الآداب بجامعة عين شمس عام ١٩٨٧ ليستأنف نشاطه العلمى بين تلاميذه ، وقد صاروا كبارا يشار إليهم بالبنان، وقد كرمته الدولة بمنحه جائزتها التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٩٨ ، وربما كان لغيابه عن مصر فترة طويلة نسبيا أثر فى تأخر هذا التكريم، الذى كان جديرا باستحقاقه له قبل ذلك بسنوات طويلة .

لقد كان الأستاذ المؤرخ لا يعرف من ملذات الدنيا غير القراءة والكتابة وجلسات النقاش العلمى ، وأظن أن هذا كان أفضل ما يحب فعله ويستمتع به ، فلم يتوان عن المشاركة ببحوثه ومداخلاته فى المؤتمرات العلمية والندوات التاريخية ، خاصة ذات الطابع العلمى الأكاديمى ، سواء فى مصر أو فى بقية العواصم العربية والأوربية ، حيث كان فارساً، يقول دائما الجديد ، ويفجر القضايا ، ويتمتع بمقدرة هائلة على جذب انتباه الحضور وإفادتهم. وربما كان أبرز المؤتمرات التى شارك فيها بأبحاثه ، المؤتمر الذى انعقد فى جامعة

لندن (١٩٦٤ - ١٩٦٥) والذى كان يتناول «التغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى مصر الحديثة» ، والذى أشرف عليه الأستاذ هولت ، وقد ألقى فيه الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى بحثين بالإنجليزية أحدهما عن انهيار نظام الاحتكار فى مصر بعد عام ١٨٤١ ، والآخر عن أوراق حككيان الذى كان مهندسا كبيرا فى عهد محمد على وترك أوراقا تكشف عن جوانب هامة من تاريخ مصر خلال الفترة (١٨٤٠ - ١٨٦٣) .

وقد نشر بحثا الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ضمن الكتاب الذى ضم أبحاث المؤتمر وصدر بالإنجليزية عام ١٩٦٨ عن جامعة لندن تحت عنوان : «Social and Political Change in Modern Egypt » ، والذى لم يقدر له أن يترجم إلى اللغة العربية حتى الآن رغم أهميته الكبيرة ، وإن كان أستاذنا قد ترجم بحثيه ونشرهما ضمن كتاب أصدرته هيئة الكتاب تحت عنوان «عصر حككيان» عام ١٩٩٠ حيث ضم فيه مجموعة من أبحاثه المترجمة التي تغطى موضوعات مهمة من تاريخ مصر خلال الفترة التى أعقبت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وحتى أواخر القرن التاسع عشر .

لقد كان الأستاذ المؤرخ من عُمد سمنار التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة عين شمس ، وقد تولى الإشراف عليه فترة من الزمن ، ساهم فيها بجهوده فى إرساء تقاليد الندوات العلمية المنتظمة، وقد تعددت المجالات التى درس فيها ، فإلى جانب جامعته الأم ، ألقى دروسه فى جامعة الموصل وجامعة الكويت ، وفى معهد البحوث والدراسات العربية ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، كما أشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى كل هذه المعاهد العلمية وغيرها ، وكان له فى كل منها تلاميذ ومريدون ، لا يسع المقام هنا لذكرهم .

ولم يكن الأستاذ المؤرخ منغلقا على كتبه وذاته ، يعيش فى برج أكاديمى عاجى ، وإنما كان منخرطا فى الحياة الثقافية العامة ، قارئا ومستمعا ومشاركا

بقدر معين ، من خلال الإذاعة المسموعة والمرئية فى كل من القاهرة والكويت ، والإذاعة البريطانية ، فضلا عن مشاركته بالكتابة فى الصحف والمجلات من حين لآخر ، وعندما يطلب منه ذلك ، وفى مجال تخصصه واهتماماته ، فقد كان عزوفا عن الأضواء والشهرة ، وحسبه عندما يكتب أن يكون الموضوع ملحا عليه وله فيه رأى أو رؤية ، وكان سلوكه مطابقا لما يؤمن به ، وما يعلمنا إياه ، من أن المؤرخ الحقيقى لا ينبغى له أن ينجذب وراء الأضواء ، أو يسعى لذوى السلطان، ليستطيع أن يحافظ على استقلاليته وحيدته ، وأن يمتلك زمام قلمه الذى انتدبه لمهمة مقدسة.

وقد لا يعرف الكثيرون أن الأستاذ المؤرخ انجذب فى بداية حياته إلى الأدب ، الذى كان عاشقا وقارئا نهما له ، وكان أول كتاب وضعه تحت عنوان «توفيق الحكيم ، أفكاره وآثاره » الذى نشره عام ١٩٥٢ ، ورغم اهتمامه بالتأريخ لأفكار توفيق الحكيم من خلال مؤلفاته وآثاره ، بحكم تكوينه كمؤرخ ، إلا أن رؤيته النقدية المبكرة للموضوع، وضعته فى تماس مع نقاد الأدب آنئذ ، وربما لو لم يجذبه التاريخ ويستغرقه بشكل تام بعد ذلك لثنى كتابه عن الحكيم بجزء آخر عن آثاره بعد عام ١٩٥٢ ، ولكسب الأدب ناقدا جديدا آنئذ . وعموما لم يتخل الأستاذ عن متابعته لقراءة الأدب ، وهو ما كان يبدو واضحا من مناقشاته وتعليقاته ، كما أن له مقالات معروفة عن الأستاذ العقاد والدكتور هيكل والأستاذ إحسان عبد القدوس وغيرهم ، وإن كان تركيزه على الجانب التاريخى فى كتاباتهم وأعمالهم واضحا ، تاركا الجوانب الأخرى لنقاد الأدب والمشتغلين به .

أما عن مؤلفات الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، فقد كتب ، إلى جانب رسالتيه للماجستير والدكتوراه ، وكتاب «عصر حككيان» الذى تناول دراسة مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر، كتابا صغيرا في مبناه كبيرا فى معناه عن «الثورة العرابية» نشر عام ١٩٦١ فى سلسلة المكتبة الثقافية ، ثم وضع كتابا هاماً عن «تاريخ مصر السياسى من

الاحتلال إلى المعاهدة ١٨٨٢ - ١٩٣٦» ضمنه آراءه وتحليلاته النافذة ، والمعروف أنه نشره فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ فى فترة كنا فيها نحتاج إلى مراجعة النفس والعودة إلى الجذور التاريخية ، بوعى ومنطق جديدين، وقد أكمل هذا الكتاب بكتاب آخر ، وإن اختص بدراسة القضية الوطنية ، قضية الجلاء البريطانى عن مصر ، دون بقية القضايا التى عالجها فى كتابه ذاك ، وقد نشر الكتاب الجديد عام ١٩٦٨ تحت عنوان «العلاقات المصرية - البريطانية من ١٩٣٦ - ١٩٥٦». وإلى جانب ما سبق ألف كتابا عن «مشكلة قناة السويس» عرض فيه تطورها التاريخى من ١٨٥٤ - ١٩٥٦ فى عرض علمى مركز ، رصد الخطوط العامة دون إغراق فى التفاصيل . وعلى نفس الأهمية يأتى كتابه عن «تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة» الذى صدر عام ١٩٧٣ حيث رصد فيه معالم التطور وأهم الاتجاهات وإسهامات المفكرين والمثقفين . وقد جمعت له دار الهلال مجموعة من مقالاته التى تناولت عددا من الشخصيات السياسية التى لعبت أدوارا مهمة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، بدءا بالشيخ محمد عبده وانتهاء بالدكتور محمد صلاح الدين ، ونشر هذا الكتاب تحت عنوان «شخصيات مصرية» فى سلسلة كتاب الهلال ، عدد ديسمبر ١٩٩٣ .

وفى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر وتاريخ الدولة العثمانية له العديد من المؤلفات أبرزها كتابه «الولايات المتحدة والمشرق العربى» (١٩٧٨) و «فى أصول التاريخ العثماني» (١٩٨٢) و«بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ - ١٩٤٩» (١٩٨٦) ، و«حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث» (١٩٧١) ، كما نشر مقالتين هما «جمال الدين الأفغانى وأفكاره السياسية» و«نظرة جديدة إلى جمال الدين الأفغانى» بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٦٢ ، ١٩٧٦) . كذلك قدم دراسة وثائقية عن «مشروع سوريا الكبرى» أصدرتها حوليات جامعة الكويت (١٩٨٤) ، كما نشر دراسة عن «أزمة ١٩٥٨ والتدخل الأمريكى فى لبنان» نشرت بكتاب الأزمة اللبنانية ، الصادر عن

معهد البحوث والدراسات العربية (١٩٧٨) ، وقد أفرد بحثا آخر عن «مضايق تيران ومشكلة الشرق الأوسط» نشر ضمن كتاب البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية، الذى أصدره سمنار التاريخ الحديث بآداب عين شمس (١٩٧٩). وقد أصدر كذلك دراستين إحداهما عن «مشروع حلف شرقى البحر المتوسط عام ١٩٤٨» بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت (١٩٨٧) والأخرى عن «مشروع اتفاقية الدفاع المشترك عام ١٩٤٨» بمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بالكويت (١٩٩٤) .

وكان للدكتور أحمد عبد الرحيم اهتمام خاص بالمؤرخين ومناهجهم ، كما اهتم بمن كتب فى التاريخ من المفكرين والأدباء أيضا ، وقد شارك فى الإعداد لندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عام ١٩٦٧ عن «إعادة كتابة التاريخ القومى» حيث نوقشت فيها هذه القضية من جانب لفيف من رجال الفكر والمؤرخين . كذلك نشر دراستين عن المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتى، أولاهما عن كتابه «عجائب الآثار .. » نشرت بمجلة تراث الإنسانية (١٩٦٦) وثانيتهما عن «الجبرتى مؤرخا» نشرت ضمن كتاب «عبد الرحمن الجبرتى، دراسات وبحوث » نشرته هيئة الكتاب (١٩٧٦) ، كما كتب دراسة هامة عن «محمد شفيق غربال مؤرخا » نشرتها مجلة الجمعية التاريخية (١٩٦٣) أظهرت قيمة وأهمية هذا المؤرخ الكبير ومكانته فى كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر. أما الأستاذ عبد الرحمن الرافعى، مؤرخ الحركة القومية، فقد حظى بدراسة كشفت عن أهمية كتاباته ومدى قيمتها العلمية ، وقد نشرت بمجلة المجلة عام ١٩٦٢ .

وكان الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى مترجما من طراز فريد ، قدم نماذج مثالية للكاتب المؤرخ عندما تبدو ترجمته كما لو كانت مؤلفة ، فى دقتها وروحها ، بفضل تمكنه من اللغات وقدرته على التعبير بلغة سلسة مشرقة ، وبمقدرة عالية على فهم المصطلحات والألفاظ وتعريبها . وكان أول نشاط له

فى مجال الترجمة عندما ترجم كتاب سيتون وليمز «بريطانيا والدول العربية ١٩٢٠ - ١٩٤٨» الذى نشره عام ١٩٥٢ بعد أن أضاف إليه هوامش وتعليقات وتذييلا مكملا له. كذلك شارك فى ترجمة كتاب نورمان ماكنزى «موجز تاريخ الاشتراكية» (١٩٦٠) وكتاب هربرت فيشر «فى أصول التاريخ الأوربى الحديث» (١٩٦١) كما شارك فى ترجمة كتاب هيلين ريفلين عن سياسة محمد على الزراعية والذى نشره تحت عنوان «الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر» عام ١٩٦٧ بعد أن رأى العنوان الجديد أكثر دقة ودلالة على موضوع الكتاب .

ومن أهم ما ترجمه الأستاذ المؤرخ كذلك كتاب خطير من أهم الكتب التى تناولت علاقة الغرب بالمجتمع الإسلامى ، تأليف جب وبوون ، وقد نشر ترجمة مجلده الأول فى جزئين نشرتهما دار المعارف (١٩٧٠) والمجلد الثانى نشره فى جزئين أيضا نشرتهما هيئة الكتاب (١٩٨٩ - ١٩٩٠) والكتاب بجزئيه حصيلة دراسات طويلة ومتأنية قام بها المؤلفان لتتبع المؤثرات الغربية فى القسم العربى من الإمبراطورية العثمانية ، وإن كنا نتمنى أن يعاد طبع هذه الأجزاء المترجمة فى مجلدين ، حسب الطبعة الإنجليزية ، فى طبعة جديدة جيدة تليق بهذا العمل العلمى الرصين ، تأليفا وترجمة .

وفى مجال ترجمة الكتب المتخصصة المهمة أيضا قدم ترجمة دقيقة وأمينة لكتاب فريد فى موضوعه وهو كتاب لوكاز هيرزويز «ألمانيا الهتلرية والشرق العربي» الذي كان قد ترجم من البولندية إلى الإنجليزية، التي نقل عنها أحمد عبد الرحيم مصطفى النص العربي الذي نشرته دار المعارف (١٩٦٨) ، ولعل آخر عمل ترجمة كان كتاب أندرو هس عن «الحدود المنسية The Forgotten Frontiers » والذي نشر ترجمته بالكويت تحت عنوان «افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس» .

وينبغى ملاحظة نوعية الكتب العلمية المتخصصة فى مجال عمله واهتماماته ، والتى ضرب بها أمثلة لكيف تكون الترجمة ، ولماذا يكون المترجم متخصصا فيما يترجم ، كما نلاحظ أن معظم الكتب التى ترجمها كانت منشورة حديثا حين ترجمها ، مما يعنى متابعته الدائبة لما يؤلف ، ويدل على مدى حرصه على إفادة مواطنيه بأحدث ما ينشر فى الخارج . كما نلاحظ أيضا أهمية أنه ترجم بنفسه مؤلفاته وأبحاثه التى وضعها بالإنجليزية ، ليؤكد فكرة أن صاحب العمل هو الأقدر على تقديم أفكاره وآرائه ، وليفيد بها أكبر عدد من قراء العربية، ويا ليت كل الذين كتبوا أبحاثهم بلغات أجنبية أن يفعلوا ذلك .

وإذا كان محمد شفيق غربال يعتبر رائدا كبيرا فى تأسيس مدرسة الدراسات التاريخية، بأسلوبها ومنهجها الحديث ، إلا أن موسوعيته حالت دون وفرة إنتاجه البحثي في مجال تخصصه ، وإن استعاض عن ذلك بتكوين طلابه ، فقد مثل أحمد عبد الرحيم مصطفى، الذي كان أبرزهم ولا شك ، نقلة نوعية مهمة في اتجاه هذه المدرسة ، من المعرفة الموسوعية، التي ميزت غربال ، إلى المعرفة العلمية المتخصصة بالمعنى الأكاديمي المحدد للتاريخ ، يشهد بذلك وفرة إنتاجه ودقة منهجه وصرامته في تطبيقه ، وتكريس التقاليد العلمية في مجال التخصص ، مما ساهم في تأصيل المدرسة التاريخية العلمية ، من خلال المؤلفات وحلقات البحث العلمي وتكوين الطلاب .

لقد كان أحمد عبد الرحيم يؤكد دائما على أن التاريخ هو ذاكرة الشعوب الحية ، وهو القنطرة التى تعبر عليها الأجيال ، وأن على دارسيه أن يفطنوا إلى أن ثمة خيطا دقيقا بين الأمجاد الحقيقية ، التى لا يخلو منها تاريخ أى شعب حى وبين الأمجاد المختلقة ، وأن هناك فرق بين إزاحة الغبار عن الفترات الزاهية من تاريخ الأمة ، وبين التزييف والتجديف . لقد كان عالما فاهما لطبيعة علم التاريخ ، ومدارسه واتجاهاته ومناهجه ، كأفضل ما يكون العلم والفهم .

لقد كان ينبهنا إلى أن مهمة المؤرخ ليست هينة ، وأن الذى يميز بين مؤرخ وآخر ، أن أحدهما تتشعب به الدروب ، جريا وراء السرد والتفاصيل التى تسيطر على المادة ، وبين آخر يجمع ما يمكنه جمعه من المادة ، ثم يعيد صياغتها ، وفقا لخطة مرنة ، تربط أطراف الموضوع بعضها ببعض ، فيخرج فى نهاية الأمر بوحدة عضوية ، مترابطة متفاعلة ، لا يبددها شئ من التكرار أو التفكك ، والعبرة هنا بالكيف لا بالكم ، وفرق بين المؤرخ الحقيقى ، وبين راوى الأحداث ، أو جامع المادة وناشرها .

كانت «الموضوعية» هى أهم خصائص منهج أحمد عبد الرحيم مصطفى، لكن أية درجة من الموضوعية؟ صحيح أن الموضوعية ثوب فضفاض، ما دام الكاتب طرفا فيها، لكن ثمة حد أدنى من الالتزام، تكون الكتابة دونه نوعا من الإسفاف الماس بالقيم الأخلاقية. كان الأستاذ يرى أن الموضوعية المطلقة خرافة، طالما أن من يكتب التاريخ كائن حى، لابد أن له ميوله واتجاهاته وانفعالاته وانتماءاته، لكن المؤرخ المستقل يستطيع أن يضع ذلك كله فى إطار حده الأدنى .

كان أحمد عبد الرحيم مصطفى يدعو دائما إلى الالتزام بالمنهج العلمى ويشدد على ذلك ، ويذكر أن من واجبنا أن نطأطىء الرأس أمام أحكامه ، وأن نروض النفس على قبولها ، وقد كتب ينبهنا إلى أن الحقيقة وحدها ، على مرارتها ، هى التى تمهد لنا الطريق السوى لفهم الأصول التاريخية لمشاكلنا ، ورسم المسار الصحيح الذى من شأنه أن يساعدنا ، ولو بعد لأىً، على حل قضايانا القومية على الوجه الصحيح .

وقد تميزت كتاباته بنظرة كلية شاملة ، تكشف عن مقدرة خاصة على الربط والمقارنة والتركيز ، مع سمو فى أسلوب العرض من الناحيتين الإنشائية والموضوعية ، وهو أسلوب لا يتأتى إلا لمن أوتى عقلية واعية ، تميز بين الغث

والسمين ، تخطت ثقافتها حدود التخصص الأكاديمى الضيق ، وهو ما يبدو واضحا خلال عطائه العلمى .

لقد كان أحمد عبد الرحيم مصطفى يتميز بذهنية عالية ، ثرية بحصيلة من المعرفة التاريخية ، يحتار المرء معها كيف يستطيع أن تحتفظ بهذا القدر من التفاصيل والحقائق ، وبهذه القدرة على استردادها وتوظيفها ، فضلا عن تميزه بالقدرة على التركيز والتفكيك والتحليل ، بنظرة نقدية واسعة الأفق ، ثم إعادة التركيب وصياغة أصعب الأفكار ، بأبسط الألفاظ وأدقها ، وبحس أدبى راق وخيال خصب ، تسعفه حصيلة غنية من دائرة معارف خاصة فى اللغة والأدب والفلسفة وعلوم السياسة والاجتماع . لقد كان قادرا على النفاذ إلى عمق القضية التى يناقشها فى غير تردد ، وعرض رأيه فيها فى غير لبس أو إبهام ، ليقول دائما جديدا ومفيدا .

ولم يكن فكره جامدا . كما لم تكن ذهنيته الفذة، فى النظر إلى الأمور وتحليل الأحداث ، تنغلق على رؤية محدودة ضيقة، وإنما على استعداد للمراجعة، فيتسع أفقها رحبا ومتحررا، وداعيا إلى التحرر من أسر التقليد والجمود. ففى صدر مؤلفه عن أصول التاريخ العثمانى، دعا إلى طرح النظرة التقليدية التى تدين الدولة العثمانية وتاريخها، وطالب بمراجعة وتعديل هذه النظرة استنادا إلى الوثائق العثمانية الحديثة، حتى يمكن وضع التاريخ العثمانى فى إطاره الصحيح من التاريخ العالمى، كما كتب مقالا يتناول دور العثمانيين فى الحفاظ على التراث الإسلامى .

ولم يكن أحمد عبد الرحيم مصطفى من أنصار الانغلاق على اتجاه واحد فى تفسير التاريخ، وإن أبدى ميلا إلى التفسير الاجتماعى، ومن هنا نادى بضرورة استبعاد المبالغة فى إبراز دور الفرد أو البطل فى صنع التاريخ، إذ كان يرى أن ثمة علاقة ديالكتيكية بين الفرد والمجتمع، وأن كلا منهما يؤثر ويتأثر،

وأن الجماهير بدون قيادة ، لا تعدو أن تكون ضربا من الغوغائية، كما أن قيادة بدون جماهير، لا تعدو أن تكون شخصيات أسطورية عديمة الوجود الحقيقى. لقد كان يشدد على أنه لا ينبغى إحاطة الشخصيات التاريخية التى ندرسها بالقداسة وكأنها آلهة تمشى على الأرض، كما لا ينبغى أن نحاصرها بالانتقاد المتواصل وكأنها شياطين جُبلت على الشر، ومن هنا دعا إلى التخلص من النزعات العاطفية المتصلة بسحر الشخصيات وجاذبيتها، فالزعماء لا يصنعون الأحداث بقدر ما يفوقون غيرهم فى فهم اتجاهاتها، ويتقدمونهم فى مجال المبادرة .

لقد دعا إلى تبنى نظرة متوازنة توجب دراسة الشخص فى إطار عصره ، وفى إطار الطبيعة البشرية ، ومن هنا كان نقده لاتجاه عبادة البطولة وتقديس دور الفرد فى التاريخ ، مدخلا علميا للتأكيد على رؤية الفرد أو البطل فى إطار عصره ومجتمعه ، مما يبرز ميل الأستاذ إلى تبنى الرؤية الاجتماعية فى تفسير التاريخ ، حيثما تكون هناك ضرورة لذلك ، وقد أولى هذه النظرة عناية خاصة ، من خلال توجيه طلابه إلى دراسة الفئات والطبقات الاجتماعية ، والاهتمام بالخلفيات الاقتصادية والاجتماعية التى تلعب دورها فى مسار التاريخ، ومن ثم عدم الاهتمام بدراسة البنيان الفوقى وحده ، وهو ما يجذب المؤرخين عادة ، فلا يمكن فهم التطورات السياسية دون الاهتمام بمصادر الثروة وإنتاجها ، وبالتشكيلات الاجتماعية ونشاطها وحركتها .

لقد كان أحمد عبد الرحيم مصطفى يمتلك جرأة نفس أبية ، ونزاهة ضمير حى ، وقدرة طاغية على التأثير فيمن حوله ، فكانوا يستمعون له دائما عندما يتحدث ، تفاجئهم صراحته الشديدة ، ويعجبون بقدرته على التسامى وعدم المساومة على الحق والعدل . كان معلما عظيما ، وأستاذا ملهما ، فتح أمام طلابه آفاق معرفة لا تحد ، وفكرا علميا متحررا . لقد كان يحلم بوطن أكثر

تحررا ورفعة وتقدما ، فعاش يناضل بقلمه ، فى مجال تخصصه ، كأنبل ما يكون الشرفاء ، فى غير تدن ولا مزايدة ، لم يكترث لحظوظ الدنيا ومتعها . ورغم اغترابه وانسحابه فى سنوات مرضه الأخير ، إلا أنه كان قد ترك جذوة من روحه فى قلوب طلابه ومحبيه ، أظنها لن تنطفئ أبدا ..

قائمة ببليوجرافية

أولاً : الكتب

- توفيق الحكيم، أفكاره وآثاره ـ مكتبة الآداب، القاهرة (١٩٥٢).
- مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ إلي ١٨٨٤ ، رسالة الدكتوراه التي جرت ترجمتها وإجراء بعض التعديلات عليها، وقد نشرتها دار المعارف بالقاهرة (١٩٦٥).
- مشكلة قناة السويس(١٨٥٤ ـ ١٩٥٦)، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة(١٩٦٦).
- العلاقات المصرية البريطانية من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٦، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة (١٩٦٨).
- تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلي المعاهدة ، دار المعارف (١٩٦٧).
- حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة (١٩٧١).
- تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة (١٩٧٣).
- الخديو إسماعيل وعلاقته بتركيا (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩)، رسالة ماجستير نشرتها دار المعارف، (١٩٦٨).
- في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة (١٩٨٢).
- الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٤، الكويت (١٩٧٨).

- بريطانيا وفلسطين (دراسة وثائقية)، دار الشروق (القاهرة ١٩٨٦).
- عصر حكيكيان، سلسلة مصر النهضة(رقم ٢٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠).
- شخصيات مصرية، تجميع لمقالات نشرت في مجلة الهلال، صدرت بسلسلة الهلال في عام ١٩٩٣.
- الثورة العرابية، المكتبة الثقافية (فبراير ١٩٦١).

ثانياً: أبحاث صدرت باللغة العربية

- فصول من كتاب «كفاحنا ضد الغزاة»، القاهرة ١٩٥٦.
- إعادة كتابة التاريخ القومي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٣ (١٩٦٧).
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي، مجلة تراث الإنسانية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المجلد الرابع (يوليو ١٩٦٦).
- عبد الرحمن الرافعي وتاريخ الحركة القومية، مجلة المجلة، العدد الستون - السنة الخامسة (القاهرة، يناير ١٩٦٢).
- أفكار جمال الدين الأفغاني السياسية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٩-١٠ (١٩٦٢).
- نظرة جديدة إلي جمال الدين الأفغاني، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون (١٩٧٦).
- شفيق غربال مؤرخاً، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١١ (١٩٦٣).
- الأكراد والوحدة الوطنية في العراق، مجلة السياسة الدولية، نوفمبر (١٩٧١).
- أزمة ١٩٥٨ والتدخل الأمريكي في لبنان، الفصل الرابع عشر من كتاب «الأزمة اللبنانية» الذي أصدره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٧٨.
- مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الخامسة - الرسالة الثالثة والعشرون (١٩٨٤).
- مشروع اتفاقية الدفاع المشترك (١٩٤٨)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة

العربية، العدد الخامس والسبعون، المجلد الثامن والخمسون (أكتوبر ١٩٩٤).

- مشروع حلف شرق البحر المتوسط (١٩٤٨)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الخامس والعشرون، المجلد السابع، الكويت (شتاء ١٩٨٧).
- عبد الرحمن الجبرتي مؤرخاً، من أعمال مؤتمر الجبرتي الذي عقد في القاهرة في عام (١٩٧٥).
- حفاظ العثمانيين على التراث الإسلامي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلد الثامن، العدد الواحد والثلاثون (صيف ١٩٨٨).
- ثورة ٢٣ يوليو والاستقلال الوطني، بكتاب أربعون عاما على ثورة يوليو، الأهرام (١٩٩٢).

ثالثاً: أبحاث باللغة الإنجليزية

* History, Change and Arab Culture; Journal of World History, UNESCO, XIV, 1972.
* Some Aspects of Egypt's Foreign Relations under Abbas I, Annals of the Faculty of the Arts, Ain Shams Uni. 1963.
* The Break down of the Monopoly System in Egypt after 1841.
* The Hekekyan Papers.

وقد نشر البحثان الأخيران في الكتاب الذي صدر في لندن في عام ١٩٦٨ متضمنا الأبحاث التي أقرتها مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (SOAS) بعد تقديمها لمؤتمر تاريخ مصر الحديث الذي انعقد في عام ١٩٦٥.

رابعاً: كتب انفرد بترجمتها أو اشترك في ترجمتها

- نورمان ماكنزي، موجز تاريخ الاشتراكية، (بالاشتراك)، دار القلم، القاهرة (١٩٦٠).
- هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث (بالاشتراك)، دار المعارف، القاهرة، (١٩٦١).

- هيلين رفلن، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر (بالاشتراك)، دار المعارف (١٩٦٧).
- جب وبوون، المجتمع الإسلامي والغرب، نشر المجلد الأول في جزأين عن دار المعارف (١٩٧١) ، أما المجلد الثاني فقد طبع في جزأين صدرا في سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٢٥ (١٩٨٩)، والعدد (٣٦) (١٩٩٠) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- سيتون وليمز، بريطانيا والدول العربية: ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٢).
- أندرو هس، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، طبعة دار ذات السلاسل، الكويت (١٩٨٦).
- ترجم فصولاً من موسوعة تاريخ أفريقيا التي أصدرتها هيئة اليونسكو.
- ترجم عدة فصول ضمن كتاب مختصر تاريخ العالم الذى أصدرته مؤسسة فرانكلين فى الستينيات.
- ترجم كتاب: لوكاز هيرزويز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، دار المعارف، القاهرة (١٩٧١).
- راجع ترجمة كتاب: ب . م . هولت، المهدية في السودان، ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي (١٩٧٨).